Issue 6558 Tuesday 14/1/2020
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6558 الثلاثاء 18 من جمادى الاولى 1441 هـ 14 من كانون الثاني (يناير) 2020م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

سامي كمال في فرقة فنية

في جوقة موسيقى الجيش

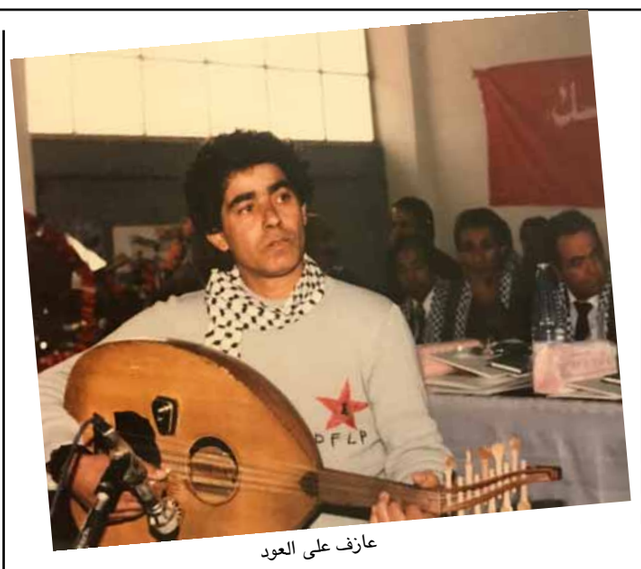
عازف على العود

سامي كمال .. الإنسان والقضية (1)

حياة حافلة بالمواقف والألحان من بغداد إلى عدن

محمد السعدي
مالمو

كان تشيخوف يقول لصديقه مكسيم غوركي وهما يغادران مزرعة (إيسيانا بوليانا) .. لماذا تعتقد أن تولستوي يمتدح ما نكتب ؟ يضحك غوركي وهو يقول : لانه ينظر ألينا كأطفال ، كل ما كتبناه لعب أطفال بالنسبة اليه ؛ كلما تعرفت عن قرب على الفنان سامي كمال وجدته يتعامل بكبر مع محبيه وقريبيه . مشوار طويل من الصداقة قبل تكون في خانة النسابة والمصاهرة حافلة بالمواقف والاحداث والمنعطفات . صورة الرجل المشعة دائماً بالأمل ذكرتني بهذا الحوار بين أدباء روسيا الكبار حول الكبار .

ولد الفنان سامي كمال العام 1940في قضاء الكحلاء (المسعيدة) التابع لمحافظة ميسان وسط عائلة ميسورة الحال وذات نفوذ أجتماعي وسط أهالي قضاء الكحلاء ، والده مناتي أمتهن مهنة خياطة (العباءة العربية) ، كباب رزق وعيش لعائلته، والدته ربة بيت لعائلة تتكون من ستة أبناء هو الأكبر بتسلسل الاولاد ، فتحمل منذ طفولته الأولى عبأ العائلة في البحث عن مصادر للعمل لتعيين والده لمساعدته في العيش .

ظروف العيش

وفي وعي مبكر بسبب ظروف الحياة الاقتصادية وطبيعة العلاقات في مدينة الكحلاء وظروف العيش والحياة وأحتياجاتها اليومية والعوز في مصادرها وأنعكاس ثورة أكتوبر وأنتصارات الجيش الاحمر على جبهات الحرب العالمية الثانية وبث الافكار الشيوعية في جنوب العراق ، جملة تلك العوامل دفعت تلك العائلة الى الوقوف مع قضايا الفقراء والدفاع عن حقوقهم المسلوبة من رجالات الاقطاع والاغوات والمالكين الى الانحياز والايمان بالافكار الماركسية والشيوعية .

في مطلع الخمسينيات من القرن المنصرم أنتقل الفنان سامي كمال مع عائلته من مدينة الكحلاء الى العاصمة بغداد مما شكلت تلك الانتقاله أنعطافة في حياة الفنان على المستوين الفني (الغنائي) والسياسي ، وعندما كانت العاصمة بغداد تموج في منتدياتها وشوارعها مخاضات سياسية وثقافية قادمة في التغير ، قد تركت إثرها الواضح على حياته ، بل أنخرط في تلك الاحداث مبكراً من خلال الاهتمام والانتماء .

وعندما وجد المرحوم مناتي والد الفنان سامي كمال الموهبة لدى أبنه في الغناء والفن .

دعم تلك الموهبة في داخله وحثه بإتجاه صقلها في الدخول الى مسرح الموسيقى العسكري كمنشد مما شكلت إنطلاقته الأولى في عالم الغناء والتلحين .

في بغداد العاصمة . تفتحت إمام الفنان سامي كمال أفاق جديدة لتطوير مواهبه الفنية والتي أعتمدها في ذاكرته من شجن وحزن الجنوب العراقي ، فلقد تعرف على ملحنين عراقيين من أمثال الراحل كمال السيد ، محمد عبد المحسن ، عباس جميل . وشعراء أغنية عديدون لازمهم في مسيرته الفنية ، ومن أكثرهم قرباً له الشاعر المرحوم كاظم أسماعيل كاطع ، وقد سبق هذه الأضاءات بولوجه وقبوله كمنشد في فرقة المنشدين الصباحية .

في العام 1970 بدأ العراق يخطو بأتجاه تهدئة الاوضاع وما رافقها من تنمية وأصلاحات أنعكست على الحياة الفنية والثقافية في العراق وبناء الأغنية المعبرة والهادفة ومضمونها وتطورها ، مما الى الآن يشار لها بالبنان في المعنى واللحن والشعر ، وكان الفنان سامي كمال واحد من عشرات الفنانين ، الذين تصدروا ألق هذا المشهد في تعزيز أسس الاغنية والفن بشكل عام .

في أستذكار تاريخي لأهم محطات الفنان سامي كمال في بداياتها . حيث يقول .. في بداية تسجيل أولى أغنياتي (بويه عينه شكبرها .

وكان الفنان يحي حمدي مخرجاً لهذه الأغنية ولما أكملت تسجيل هذه الأغنية خرجت الى الكونترول لاستمع أليها في مبنى الاذاعة ، وكانوا في حينها الملحن محمد جواد أموري والملحن الشيوعي كوكب حمزة والمغني سعدون جابر يستمعون لي عند إداء التسجيل .

فقال الفنان يحي حمدي شهادة مازلت أعتز بها الى يومنا هذا أمامهم ((أن هذا هو الصوت المطلوب ، ولكنه بأعتقادي سوف لن يكون طريقه سهلا)) .

في منفاه البارد الموحش في القطب الشمالي ، الذي طال سنوات طويلة تداهمه به الذكريات والحنين الى الماضي في جو وحميمية عائلته الهاديء ، وعندما تكهرب الجو السياسي العراقي العام في أستهداف القوى الوطنية ومثقفيها وفنانيها من قبل أجهزة النظام في أعتقالهم وتغيبهم .

قرر الفنان سامي كمال بحزم حقائبه في الرحيل الى وراء الحدود الى أصقاع الأرض القاحلة ، وفي لحظة وداع مؤلمة وصعبة لعائلته ، أثنته والدته الطاعنه في السن عن الرحيل متوسله له والخوف عليه من معاناة البعد ووحشة المهجر ، مازالت تلك اللحظات الصعبة تداهم الفنان سامي كمال بوجع وربما بندم على فراق والدته كلما تلبسته سنوات اليأس والأحباط ، ومما زادت من قساوة وهول الغربة رحيل والدته الى السماء بعيداً عن توديعها وإلقاء النظرة الاخيرة عليها .

والانسان يشعر بالعمر وتقادمه عندما تغيب أمه عن الدنيا .

سامي كمال

عندما ولج الفنان سامي كمال عالم الفن كمغني وملحن العام 1970، وهو أب لاربعة أطفال يعمل من أجل تأمين حياة متواضعة لهم. راح يبحث عن مصدر رزق لتأمين معيشتهم ، لأنه في يومها لم يكن للفن معين مالي للعيش ولاسيما كفنان شيوعي يعطي من وقته وفنه للناس وقضاياهم ، فأخذ مهنة الحلاقة كباب رزق في تأمين حياة هادئة بفتح محل للحلاقة في مدينة الحرية في بغداد . وكان الملحن طارق شبلي يأتي من البصرة الى بغداد كلما توجب حضوره في لحن أغنية جديدة لمطرب جديد في مبنى دار الأذاعة بالصالحية ، وكان حينها يرافقه شاب صغير متلمساً طريق فن الغناء هو الفنان رياض أحمد ، والذي أصبح مغنياً مميزاً في مسيرة الاغنية العراقية .

يستذكر سامي كمال ذكريات تلك الايام ، والذي حدث مرة في مبنى الأذاعة بتصرف غريب من الشاب رياض أحمد مما دعا سامي كمال في نهره وقائلاً له أمام جمع من الحضور (أنت محسوب علينا) فرد عليه رياض لا أنا بعثي. فاستدرك الفنان سامي كمال الموقف والخروج منه لا أقصد أنت محسوب علينا كفنانين .

في بغداد العراق ، وبعد أن ضاقت به فرص الحياة والعمل وحرية التفكير ومساحات الابداع لمعتقده السياسي (الشيوعي) والتمسك به ولم يرضى لنفسه على أي مساومة تجاه معتقده من أجل البقاء في مبنى الأذاعة في الصالحية والتي من فتحات نوافذها يحقق الشهرة والمال ، لقد تم أبعاده عن هذا الأفق وهو في بدايات ظهوره وشهرته الى الفرقة القومية للفنون الشعبية ، وقد تعرف هناك على بعض الفنانين العراقيين أمثال جبار عكّار وأمل خضير .

وفي الفرقة القومية ألتقى بالفنان عبد الآمير معله وهو اللقاء الثاني به ، وتفهم ظروفه ودعمه بأتجاه مشروعه الفني .

كثير ما يشدنا في أغاني هذا الفنان الرائع هو المذاق العراقي السلس مع لحنه الممتع ، والكثير منا يتذكر الفنان سامي كمال في بداياته الفنية وفي أشهر أغانيه (رايح يارايح وين) والحاصلة على جائزة أفضل أغنية عام 1976-1977 والتي لابد من الاشارة هنا الى ملحنها المرحوم الفنان الراحل كمال السيد(ولنا وقفه مع هذا الفنان الراحل) والذي منحه اسمه الفني .

في مسقط رأسه بمدينة الكحلاء ، وفي عز فتوته بدأت تظهر ميوله نحو متابعة الفن وعمالقة الغناء العربي وتحديداً الغناء ، ولموهبته المبكرة بهذا المجال بالتزامن مع ميوله السياسية بتأثير من والده مناتي بحكم طبيعة عمله وأحتكاكه اليومي بالناس وهمومهم ، فكان نصيب العائلة بذلك التوجه والانحياز الى قضايا الانسان في العيش والاختيار الحر .

في سنواته الاولى للفنان سامي كمال في مجال الغناء والفن وتأثيرات أنتمائه السياسي على مسيرته الفنية في حقبة العراق التاريخية في التكوين السياسي وظهور الاحزاب السياسية الى العلن في العمل السياسي والاحتراب الى حد الخصومة والمواجهة بين القوميين والبعثيين من جهة والشيوعيين وأصدقائهم من جهة أخرى ، تركت ظلالها على حياة الفنان سامي كمال في بداياته الفنية بحكم هذا الصراع السياسي وتحديد المواقف .

مما تعرض الى الاعتقال والسجن في أحداث 8 شباط العام 1963، بمجيء البعثيين والقوميين الى دفة الحكم بإنقلاب عسكري أطاح بثورة تموز وإنجازاتها ورجالها ليدخل العراق في دوامة طويلة من الانتهاكات والدم .

أرتبط همه السياسي والتعبير عنه في الوقوف مع قضايا الناس وتطلعاتهم من خلال موهبته الفنية وأصالته العراقية وموسيقاه التي تفيض منها الحانه وصوته الشجي ، وهذا ما نتلمسه في أغانيه على مدى أربعة عقود من العطاء . والفنان سامي كمال متمرس في الغناء منذ أواخر ستينيات القرن الماضي ، حيث دخل الاذاعة كمنشد في فرقة المنشدين الصباحية مع ثمة من الفنانين العراقيين ، والذين حجزوا لهم مكاناً في الذائقة العراقية أمثال عبد الجبار الدراجي ، صباح غازي ، حسين السعدي ، عباس حسن ، هناء وأختها غادة سالم . وبسبب ظروف العراق السياسية وتقلباتها مما أجبره كسائر الغالبية من المبدعين العراقيين الوطنيين الى مغادرة العراق متوجها الى المجهول ...؟.

المجهول هو المنفى حيث لم ولن يكون أحد منا انه يتوقع انه هذا المنفى هو كما آل اليه الحال ليمتد الى اكثر من أربعون عاماً من الزمان كان الهاجس هو المكان الآمن البعيد عن عيون المخبرين وسطوة الجلادين .

فكانت أغانيه مثل (لبغداد).. (أستمد الشجاعة منك) ..(صويحب) التي اشتهر بها..(يابحر) ... (مشتاك) ..(دكّيت بابك ياوطن) .. (شلون بيه وبيك يبنادم) وغيرها الكثير .. الكثير...اين انتم واين نحن من هذا الفنان ومتى ... ومتى ننصف مبدعينا الذين اعطوا للانسان والوطن الكثير ودفعوا أجمل محطات حياتهم للوطن.

مسيرة الفنان سامي كمال محطات ودول وأنعطافات وتجارب غنية وطافحة بالذكريات والمواقف تستحق الوقوف عندها ونقلها لتكن تجارب حياة للآخرين .

محطة اليمن

قبل أن تطأ قدماه أرض اليمن ، كان مروره الأول دولة الكويت ، والتي لم يمكث بها طويلاً لاسباب شخصية ومن منطلقات (فنية وسياسية) ، ورغم الأغراءات التي قدمت له من سكن ومال وجاه ، لكنه لم تثنيه على مواصلة طريقه المنشود ، وربما العامل ذو الوزن الأكبر والأكثر تأثيراً هو أنتمائه السياسي (الشيوعي) .

فكانت وجهته جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

كانت محطته الأولى في المهجر هي جمهورية اليمن الديمقراطية (اليمن الجنوبي) عاصمتها عدن ، تاركاً خلفه عراق مضطرب تحت مفارقات سياسية خطيرة أدت به الى حروب ودكتاتورية متسلطة ووحشه .

في منفاه الأول وجد بحبوحة من فضاء واسع للتعبير عن كوامن دواخله في الغناء والتعبير مع رعيل من رفاق فكر وطريق جمعهم اليمن السعيد بعد أن ضاقت بهم أرض بلدهم الخصبة . منذ البدء ، وفي الأيام الاولى .. التي وطأت قدماه أرض اليمن أنخرط في النشاط الفكري والفني والسياسي لينقل للعالم معاناة شعبه وما تعرضوا له من أرهاب وتهميش بسب معتقداتهم السياسية ، فبادر مع رفاقه بتأسيس فرقة غنائية (سياسية) ، أطلق عليها في حينها (فرقة الطريق) ، ضمت بين صفوفها سامي كمال ، المرحوم كمال السيد ، حميد البصري ، شوقية ، جعفر حسن ، المرحوم فؤاد سالم . تعرضت الفرقة بعد عدة نشاطات وأحياء مهرجانات الى عدم الاتفاق مما أدت تلك الخلافات الى تأسيس فرقة جديدة بأسم الطريق الثانية بين صفوفها سامي كمال ، والمرحوم كمال السيد ، لتميزها عن فرقة الطريق الأولى . وبمرور الأيام باتت أسم يشار لها بالبنان ليس فقط وسط جموع العراقيين الهاربين من بطش الدكاتورية ، وأنما أيضا باتت مدار حديث الشعب اليمني ، وكان اليمنيين حريصين على مواكبة نتاجات الفرقة بما قدمته من أغاني سياسية هادفة في التعبير عن أرادة الشعوب في التوق الى الحرية . وعندما وصل الفنان سامي كمال الى العاصمة عدن ترك وراءه في بلده العراق زوجة وأطفال صغار بين أهاليهم وأقاربهم ، وكلما طالت الايام والذي كان يعتقد كغيره ربما ستمر تلك الايام (أيام الغربة) ، كسحابة صيف ستتلاشى بحرارة اللقاء المرتقب بصفقة سياسية بين آمراء القرار السياسيين .

كانت ظروف العراق أنذاك مخاضاتها صعبة للغاية في ظل نظام لايتساهل حتى مع همسات معارضيه ، فكانت الاتصالات مقطوعة والرسائل ممنوعة بين معارضيه في الخارج وأهلهم في العراق والذين يتلون صبراً وشوقاً الى حنين اللقاء .

كلما أزدادت مسافات البعد ووطأة الغربة بين الفنان سامي كمال وعائلته في العراق تقربت مسافات الشوق بينهما في البحث عن منفذ للقاء يجمعهم في بقعة من معمورة الاراض الواسعة .

السيدة أم اولاده (أم فريد) ، عانت الآمرين في العراق من العوز المادي لأم في حضنها أربعة أطفال صغار رغم مساعدة أهلها وأخوانها لها .

والآمر الثاني الي هو أكثر خطورة هو خوفها الطبيعي على أولادها من ممارسات وأساليب النظام عليهم بأعتبارهم أولاد فنان ومعارض سياسي .

بدأ صدى صوته يخترق تطلعات شعبنا المكتوية بقوة الحديد والنار .

في ظل تلك الأجواء المعقدة والمخيفة قامت زوجة الفنان سامي كمال أم فريد بحمل أولادها الأربعة وعبرت بهم حدود العراق بأتجاه العاصمة السورية دمشق للبحث عن زوجها وجمعه بأولاده الذين يحلمون بأمنية لقائه ، مثلما أرادت أبنته الصغرى حنان ، وفي فراقه لها ، أن تعبر بأمنيات تفوق سنوات عمرها لحزنها على فراق أبيها وتعبيراً عن حزن طفلة حرمت من دفء حضن والدها .

وعندما حطت الأم رحالها مع أولادها الاربعة في العاصمة دمشق ، ولم يعثروا على أثر لوالدهم في دمشق أصابهم الحزن ويأس اللقاء .

الرفاق والمعارف في دمشق هما من دلهم الى وجوده في العاصمة اليمنية الجنوبية (عدن) ، وكأي أم عراقية شجاعة ووفية راحت تجرر بأذيال أولادها في العواصم العربية غبر مهابة من مخاطر الدنيا ومفاجأتها ، فوصلت بهم بعد معاناة جدية وخطيرة عبر الحدود والمطارات الى العاصمة عدن ، ليجتمعوا تحت سقف مهجور لفندق عتيق .

وفي أروقة ومداخل هذا الفندق وتحت العوز الى العيش الرغيد والحنين الى الوطن .

حركة دؤوبة

بدأت حياة تلك العائلة تلملم شتاتها في العيش والتكيف مع ظروف هذا البلد وإهله الطيبين تحت ربانها الفنان سامي كمال .

مشى الزمن سريعاً على حياة تلك العائلة في العاصمة عدن ، أصبحوا جزء من حياة مجتمع وحركته الدؤوبة بين مئات من عوائل الشيوعيين العراقيين ، والذين تركوا وطنهم جبراً من بطش الدكتاتورية . وبعد سنوات وفي ظروف صعبة ألمت بحياة الفنان سامي كمال حزمت العائلة حقائبها باتجاه العاصمة السورية دمشق لتكن محطة أخرى من محطات العائلة تاركه وراءها أصدقاء وذكريات ومدرسة وأثنان من أفراد العائلة فريد وأسمهان .

ورغم صغر أعمارهم ، لكنهم تمكنوا من شق طرق لحياتهم الى هدفهم المنشود .

لم يتوقف طموح الفنان سامي كمال في المضي قدماً بمعرفة خفايا وخبايا عالم الموسيقى في الدراسة الأكاديمية ، لقد تمكن من خلال وجوده في جمهورية اليمن وبأحد معاهدها الموسيقية من أن ينال درجة الدبلوم بآلة (كلارنيت) ، ليحقق جزء من طموحه الشخصي ، الذي حرم منه في بلده العراق . وفي سنوات وجوده في العاصمة عدن . تعرض الفنان سامي كمال الى وضع صحي طاريء تعذر عن علاجه وتجاوز أزمته في محل أقامته في دولة اليمن الجنوبية ، فأرسل من قبل منظمة الحزب الشيوعي العراقي الى دولة لبنان (بيروت) للعلاج أمام تعهد من قبل المنظمة في رعاية عائلته خلال غيابه المؤقت ، وقد عانت العائلة من غياب الأب .

(يتبع)

ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار

يقيناً جاهل بالشأن المرجعي من يعتقد أن صيت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف ذاع بعد احتلال العراق سنة 2003، وجاهل أكبر من راح يعتقد حداثة دورها بالشأن السياسي ، ومعتوه من ركب السفينة فخرقها ، نعم ركب ساسة العراق سفينة المرجعية التي انجتهم من بطش المستبد ، بعد أن وقفت ودافعت وتصدت وزُج بكبارها في غياهب السجون ، فقتل من قتل واغتيل من أغتيل ونجا من شاءت الإرادة الإلهية إن يحيى ليرشد الأمة ويدلها الطريق القومي . واللافت في ساسة العراق والشيعة منهم تحديداً وهم الأكثر معرفة بهذا الحصن الحصين ، أن المرجعية تُقدم ولا يُقدم لها ، تدعم ولا تبغي الدعم ، تُرشد ولا تُرشَد ، تاريخها حافل ولا تحتاج من يدخلها التاريخ ، حيرت المستَبدين وارعبت الجبارين ، نصّبت واطاحت ، قوّت وأضعّفت ، وهي قوية صامدت محصّنة ممتدة قائمة وغيرها زائل . تقطن النجف القديمة ، الزهد عادتها والحكمه ضالتها ، والأبوية من ابرز صفاتها ، هذه هي المرجعية قبل وبعد الإطاحة والتغيير والاحتلال والتحرير . والمتتبع المدعي لشأن المرجعية من مراهقي السياسة وروادها الجدد ، سيجد أنها ومنذ الأيام الأولى لرحيل الديكتاتور وتولي من قضى جل حياته متنقلاً بين الأصقاع يتهدده المستبد واجهزته لقمعية ، أنها دعت إلى رعاية الله في الشعب المظلوم ، وتعويض ما فاته من رخاء واستقرار وحياة حرة كريمة ، وحثت من تربع على عرش السلطة الى وئد الفساد في مهده ، وكان في مراحله الأولى بعد أن أسس له المحتل ، وشجعه ، وفتح ألباب على مصراعيه للعبث بالمال العام ، وهو يعلم أن في انتشار الفساد وتفشيه مقتل الأمة وذهاب رياح شعب . وهل من صمّ الآذان ينكر دعوات المرجعية المتكررة لقاتلة الإرهاب الذي راح يحصد ارواح الأبرياء كما تحصد النيران المستعرة الحطب في يوم عاصف ، والحصيلة وقوع العراق اسير من حذرت المرجعية من خطره وهو في أيامه الأولى ، وهل من منكر لدعوات المرجعية لتعويض الشعب عما فاته من حرية ولقمة عيش بعزة وكرامة ؟ والحاكم القابض على السلطة ، اسكرته لذة السلطة وغيبه زهوها ، وراحت الحاشية المظللة تغرقه باكاذيبها وتصور له خلاف الواقع ، حتى اضطرت المرجعية الى تذكيره بمصير من ظلم وافسد وعبث ونسي وتنكر وغفل ، وهو يصد عنها فعلاً ويدعي الامتثال قولاً وتأييداً ، بل يسارع ويتسابق الى التأكيد والامتثال لما دعت له ، حتى قالت قولتها الشهيرة لقد بحت أصواتنا ، ولات حين مناص ، بل راح من عبث بالعراق ومقدراته يقتبس من بلاغتها ليردد ما قالته في محاولة للنيل منها . وفي وقت مبكر وحينما بدأ الكيل الشعبي يطفح والعقل الباطن يتحرك والهمس يتحول الى صوت مسموع ، رافضاً ممارسات من ادعى الظلامة بل من ظُلم على يد المستبد الراحل ، عادت المرجعية لتؤكد أن الشعب ما خرج على المستبد ، وما زال حكم الراحل الا لظلمه وفساده وقمعه واستبداده وتنكره للشعب ، وكان الرد " لقد اسمعت من ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي " ولم يقف الصوت الهادر عن إسداء النصيحة وهي ترى وتعايش حجم المعاناة وشغف العيش ، الفقر يتفشى والباطلة تتزايد ، والمرض يقطف الأرواح والرعاية الصحية في تراجع بل في تدهور متصاعد ، وسراق المال العام ينعمون بثروات الشعب الذي قضى حياته يتطلع الى اليوم الذي يرى فيه الحرية ويعيش الحياة الكريمة ، وفي هذه المرة تغير خطاب النصح الى تحذير عسى من صم الاذان أن يسمع صدى الصوت ، فقالت إن الشعب المتظاهر اليوم قد يعود ادراجه مانحاً الفرصة للحاكم ومن افسد ، لكنه في المرات القادمة سيخرج منتفضاً لا متظاهراً معتصماً لا محتجاً ولن يعود حيث خرج إلا بعد تحقيق مطالبه في الاصلاح والحياة الكريمة . والمرجعية في كل خطبها ومواقفها تصطف الى جانب الشعب لا كما يدعي المغرضون المتقولون الذين سعوا جاهدين الى النيل منها في محاولة لاستمرار فسادهم وعبثهم وظلمهم ، فمن تقّول على المرجعية وحاول النيل منها هو من اعتلى السلطة بصوتها واحتمى بمهابتها وتستر بنصائحها ، فأنكشف الستار عنه وافتضح أمره وثبت زيف ادعائه الوصل والدعم والتأييد . واليوم تطلق المرجعية خطبتها المزلزلة المتممة لما بدأت لتسمع من صمت آذانه ظلماً وطغياناً واستبداداً واعتقاداً بأنه في منأى عن النيل وفي معزل عن المساءلة وفي مأمن من العقاب ، شارعة خطبتها الأخيرة في تاريخ صدورها لا في خاتمة ما قالت ، لأنها ستقول وتردد وتنصح وتحذر وتشخص وتدعم الشعب ، حتى يُصحح المسار ويستقيم المعوج من أمر الحاكم ، ويستعيد الشعب حقوقه المغصوبة المستباح ممن غصب واستباح ، بالدعوة الى التعاون والتكاتف بعد أن وجدت تشرذم الساسة وارتمائهم في احضان هذه الدولة وتلك وعلى أساس الطائفة والقومية والمناطقية ، وفي انقسامهم ضعف ووهن وفاتورة يدفع حسابها الشعب الذي فرقه الماضي وعمق أزمته القائم ، ولا خاسر في هذه المعادلة الا من وقف ينتظر الزوال عسى أن يتنفس هواء الحرية . مذكرة أن الاعتداءات المتقابلة التي كان ميدانها العراق ، تدل على ضعف السلطة وذهاب ريحها واستلاب ارادتها وإن أتكأت على هذا واستقوت بذاك ، فالأجنبي ما قدم لنصرة الشعب ورد ظلامته وتنمية موارده ودفع النيران عنه ، لكنه قدم لدرء النار عن بلده ودفع الشر عن شعبه وتصفية فاتورة خلافته وتنمية اقتصاده ، وليس من ضحية لهذا الارتماء والنكوص والانبطاح الا الشعب الذي عانى فيما مضى وازداد معاناة في الزمن الذي ظل يتطلع اليه جل حياته فكان ختامها خذلان وارتداد واستبداد . لقد رسمت المرجعية الدينية العليا مسارات الخلاص من الأزمة الخانقة التي خلفتها الأخطاء المتراكمة والسياسات المنحرفة والتي كانت حصيلتها استباحة سيادة البلد وأمنه وتحويله الى ساحة لتصفية الحسابات القديمة المتجددة ، فضلا عن معاناة الشعب الآخذة بالتفاقم ، مذكرة أن للفرصة بقية وفسحة لكنها ضيقة قصيرة وإلا ستكون الخواتيم وخيمة والنهاية غير محمودة ، ويقيناً أن مطلبية الشعب مشروعة فيما مضى واليوم ، فسيادة العراق على ارضه بعيداًعن تدخل الغرباء مطلب مشروع ، ولا خروج عن المألوف في أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، ويقيناً أن الحياة الحرة الكريمة راحت حقوق مفروغ منها ، لا خلاف فيها نالتها شعوب وبلاد لا تملك ما للعراق من عمق وتاريخ وارث وثروة ودين وعقل وغيرة وشرف وثقافة وعلم ..... لقد اطلقها مدوية الجواهرجي في مطلع العقد الخامس من القرن المنصرم ، مؤكداً لا مستشرفاً دور المرجعية الدينية العليا " باق وإعمار الطغاة قصار ..... من سفر مجدك عاطر مَوار " فالمرجعية خالدة باقية ممتدة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا ، وغيرها الى زوال ، فهي الصوت الناطق بمعاناة المظلوم ، وهي الذائد الحامي ، وهي الناصر الذي لا يأخذه في الله لومة لائم ، مضت ممتدة وقد ناصبها كل مستبدي الأرض العداء ، لم ينال منها المغرض الذي راح يدعي ويحيك ويكذب ويتآمر ويلفق وينسب لها ما لا تقول ويدعي ما لم تفعل . على القابض اليوم على السلطة في العراق أن يقف متأملاً فيما كان عليه قبل اعتلاء السلطة يوم كان معارضاً تتهدده اجهزة الحاكم المستبد ، وهو يتنقل بين البلدان ، حاملاً في احدى يديه القضية التي من اجلها هُجّر وتغرب وطُرد وطُورد ، وفي اليد الأخرى يحمل كفنه حيث لا يعلم بأي ارض سيوارى جثمانه الثرا ، وبين ما آل اليه حاله وهو في سدة السلطة ، وبين موقعية المرجعية الدينية العليا وما آلت اليه أوضاعها ، فقدسيتها ومهابتها وتأثيرها وسطوتها المعنوية آخذة بالتزايد والنمو ، فمن كان مع الله كان الله معه ، لكن مكانها الروحي والمادي النجف القديم ، والزقاق الضيق والبيت المستأجر المتهالك ، فالزهد سر استمرارها وامتداد نسلها واتصال تاريخها ، فحق للعراق حيث وجودها وللشيعة ومعتقديها فخر الانتماء والانتساب والاعتقاد ، فهي الحقيقة وغيرها سراب ، وهي البقاء وغيرها الفناء ، وهي الصواب وغيرها الشطط ، وهي الحق وغيرها الضلال .

علي الشكري
بغداد

تجارب تجارية مبشرة

صفحات كثيرة على مواقع التواصل الاجتماعي ، أغلبها لربات بيوت يعرضون ما عندهم ، تلك ناجحة في إعداد وتحضير الحلويات الشرقية والغربية منها ، وأم محترفة لمهنة الخياطة ، وطالبة لديها من المعلومات عن التجميل والموضة ما يكفي لتأليف عدة كتب ، هذه الخدمات وغيرها تقدم بسعر بمتناول الجميع وفيها فائدة للطرفين .الكثيرين يريدون أن يبدأوا مشاريعهم بخطة مدروسة ،مع مبلغ جيد بين اليدين ، وحينها يمكنهم التقدم بخطوات ثابتة إلى الإمام بثقة ، وهذا توجه أحترمه وكلنا نسعى إليه لكن مشاريع صغيرة تنطلق برأس مال يكاد لا يذكر أمر يبشر بالخير ويجب أن نكون من اوائل الداعمين له . من يقرأ بتمعن تجربة نهوض الصين التي باتت الآن كيان عملاق مرعب يلتهم كل من حوله ، فأنه سوف يكتشف أنهم إنطلقوا بصناعات بسيطة رخيصة الثمن وأغلبها كانت تنتج في بيوت على يد عمال بسطاء يريدون فقط العمل لكي يحصلوا على أبسط مستلزمات الحياة ، لكن مع المثابرة وزيادة الإنتاج باتت الصين منتجة لكل شيء ولها معايير عالية في المواصفات والجودة . نحن نعاني من البطالة في صفوف الشباب وهذه المشاريع لو نجحت منها ما يقارب العشرة بالمائة فقط لا غير فهذا بحد ذاته إنجاز عظيم لا يقدر بثمن ، كما أننا جميعنا يسعى لإشراك الشباب بسوق العمل بدل أن يصابوا بالملل أن لم يجدوا فرصة مناسبة لهم ، فهذه المشاريع تصقل خبرتهم وتفتح أفاق كثيرة لهم هم لا يعلمون عنها أي شيء .

حسين علي غالب
بغداد